رؤية في جذور الثقافة
من خلال فكر عبد الرحمن عزي.

أ. الياس طلحة
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.

تُعد قدرة الإنسان على إنتاج الثقافة أهم خاصية تميزه عن باقي المخلوقات، فالعادات والتقاليد والأفكار التي يشارك بها أفراد المجتمع والتجارب التي يمر بها الإنسان تستقر في أعماقه، ويستخدمها المجتمع جيلاً بعد جيل ويحولها إلى قيم وتراث جماعي.[1]، فهي المُعبّر الحقيقي عما وصلت إليه البشرية من تقدم فكري، فمن خلالها يتم رسم المفاهيم والتصورات كما يتم رسم القيم والسلوك.

وقد ارتبطت الثقافة بالوجود الإنساني ارتباطاً متلازماً تطور مع الحياة الإنسانية وفقاً لما يقدمه الإنسان من إبداع وإنتاج في شتى المجالات، فالثقافة

---

[1] عبد الغني عماد: سوسيولوجيا الثقافة المفاهيم والإشكاليات...من الحداثة إلى العولمة، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،لبنان، يوليو 2008، ص28.

هي "المنظومة المعقدة والمتشابكة التي تتضمن اللغات والمعتقدات والمعارف والفنون والتعليمات والقوانين والدساتير والمعايير الخلقية والقيم والأعراف والعادات والتقاليد الاجتماعية والمهارات التي يمتلكها أفراد مجتمع معين".

وقد وعى الإنسان أهمية الثقافة في تكوين ذلك الوعي فأسس وجودها عبر السنين من خلال التراكم النوعي والكمي للفعل الثقافي والإنساني ، فما تركته الثقافات القديمة كالمصرية والفارسية والإغريقية يُعدّ صورة واضحة لذلك الفعل الثقافي عبر مراحله وعصوره ، وجاءت الأديان السماوية والتي خُتمت برسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم لتعطي هذه الثقافة **بُعدها الروحي** وتعيدها إلى مكنونها الأخلاقي وتنقيها مما لحق بها من الشوائب التي انحرفت بالثقافة عن رسالتها الإنسانية ، مصداق ذلك قول المصطفى صلى الله عليه وسلم : "إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق".[1]

وما زالت الثقافة هي المحرك الأساس للفعل الإنساني ، فمقياس تحضر الأمم ورقيّها مرتبط بتقدمها الثقافي بكل دلالات اللفظ ومحتوياته ، وهذا ما تشهد به المدَنِية المعاصرة فالأمم المتقدمة في عالمنا هي التي استطاعت أن تأخذ بتلابيب الثقافة في كافة جوانبها الإنسانية والعلمية وأن تحول وعيها الثقافي إلى فعل عام تتقدم به على غيرها ، على الرغم من الخلل الذي يلف بعض جوانب ثقافتها .

فالسيطرة العالمية المعاصرة على واقع الشعوب ليست سيطرة عسكرية أو اقتصادية فقط بل هي نسيج من السيطرة الثقافية . عن طريق وسائل الإعلام خاصة . سواء كان ذلك في حياتها الاجتماعية أم الاقتصادية أم السياسية أم

---

[1] سعيد عبد الله حارب: الثقافة التربوية والثقافة الإعلامية تكامل أم تناقض ؟ ،
www.meduconf.com/uploader/Pdf/Monday2_01.doc

التربوية ، إذ أصبحت "نمطية" الحياة لدى بعض الشعوب صورة متكررة لشعوب أخرى في فعلها الثقافي على الرغم من أنها لم تخضع لاحتلالها العسكري أو لهيمنتها الاقتصادية ، وما ذلك إلا لغلبة ثقافتها وانتشارها مستغلة التقدم العلمي والتقني المعاصر والذي يَسَّر لها سُرعة الوصول إلى أطراف الدنيا في مشهد

" خلدوني " يتبع فيه المغلوب شأن غالبه !!.[1]

ونظرا لأهمية مفهوم الثقافة ـ كما سبق وأن أشرنا ـ سوف نحاول من خلال هذه المداخلة إبراز هذا المفهوم بدايةً من وجهة نظر غربية، وبعد ذلك نقدم المنطلقات الفكرية لمفهوم الثقافة عند المفكر الجزائري عبد الرحمان عزي، والتي تعتبر ـ أي الثقافة ـ المحك الأساس الذي تنطلق منه نظرية الحتمية القيمية في الإعلام في مواجهتها للنظريات الإعلامية الأخرى وفي وجه المد الإعلامي الثقافي العالمي الجارف، وفيما يلي سوف نحاول إلقاء الضوء على هذا المفهوم من خلال عرض موجز عن ظهوره وتطوره في الغرب مع إعطاء أهم التعريفات الغربية الحديثة للمفهوم.

أولا:لمحة عن تطور مفهوم الثقافة في الغرب:

عموما تعود جذور كلمة "culture" إلى اللفظ اللاتيني "culture" الذي يعني "زرع الأرض" طوال العصرين اليوناني والروماني،حيث استخدمها شيشرون مجازا بالدلالات نفسها، فقد أطلق على الفلسفة "mentis culture" أي زراعة العقل وتنميته، مؤكدا أن دور الفلسفة هو تنشئة الناس على تكريم الآلهة، وقد ظلت الكلمة هكذا حتى القرون الوسطى حيث أطلقت في فرنسا على الطقوس الدينية "culte ".

---

[1] سعيد عبد الله حارب، المرجع السابق.

وفي عصر النهضة اقتصر مفهوم "culture" على مدلوله الفني والأدبي ، فتمثل في دراسات تتناول التربية والإبداع، وبعدها عمد فلاسفة القرن السابع عشر إلى تطبيق المناهج العلمية في دراسة المسائل الإنسانية، وأفردوا مضمارا خاصا للعمليات المتعلقة بمفهوم culture[1] ،ففي كتابه" تقدم المعرفة" يعتمد فرنسيس بيكون صورة "التثمير الزراعي" للدلالة على أحد مرامي الفلسفة الكامن في هذا المفهوم.

واستخدمها بذات المعنى فولتير وأقرانه من مفكري فرنسا، حيث كانت كلمة"culture" تعني لديهم تنمية العقل وغرسه بالذوق والفهم وتزيينه بالمعرفة، واستعملها توماس هوبز بمعنى العمل الذي يبذله الإنسان لغاية تطويرية سواء أكانت مادية أم معنوية.

وقد عرّفها ثومبسون Thompson 2001() بأنها:" مميزات أو خصائص جماعة تتضمن القيم والمعتقدات ومعايير السلوك التي تختلف في عضوية جماعة أخرى وتساعد على تمييز هذه الجماعة عن جماعة أخرى ، أما "أومرود" Omrod فيعرّفها بأنها: "نظم السلوك والمعتقدات التي تميّز جماعة اجتماعية" ويرى " آرندس" Arends2004 ( ) أنها: "تصف الطريقة الكلية لحياة جماعة بتاريخها واتجاهاتها وقيمها ، والثقافة تُتَعلّم ، وليست ثابتة ، وتتغير بشكل مستمر ، والثقافات لا تمثل الجماعات ، وإنما هي ما أوجدت من قبل الجماعات.[2]

---

[1] نصر محمد عارف: الحضارة ـ الثقافة ـ المدنية ، سلسلة المفاهيم والمصطلحات (1)، ط2، الدار العالمية للكتاب الإسلامي والمعهد العالي للفكر الإسلامي،1995،ص19.

[2] سعيد عبد الله حارب، المرجع السابق.

ويعرفها الفيلسوف الأمريكي "جون ديوي" بأنها:" حصيلة التفاعل بين الإنسان وبيئته"،ويعرفها "رالف لنتون" بأنها:" شكل متكامل من السلوك المكتسب ونتائجه، يشترك في عناصره وينقلها أفراد مجتمع معين".

ويعرفها "كلايد كلوكهون" بأنها:" مجموعة طرائق الحياة لدى شعب معين، أي الميراث الاجتماعي الذي يحصل عليه الفرد من مجموعته التي يعيش فيها، أو هي اللجوء الذي خلقه الإنسان في محيطه وهي التي تحدد الأساليب الحياتية، أو هي طريقة في التفكير والشعور والمعتقدات، إنها معلومة الجماعة البشرية مخزونة في ذاكرة أفرادها أو في الكتب أو في المواد والأدوات". [1]

واستمرت الكلمة محافظة على جذرها اللغوي والدلالات المشتقة منه إلى أن جاء "إدوارد تيلور" ووضع كتابه "primitive culture " عام1871م، وفي أول فقرة من كتابه وضع تعريفا لهذا المفهوم يعد حتى اليوم من أوفى التعريفات وأشملها بحيث لا يزال يستخدم في معظم الكتابات الأنثروبولوجية. وينص التعريف بمعناها الأثنوغرافي الواسع: " هي ذلك المركب الذي يشتمل المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكسبها الإنسان من حيث هو عضو في مجتمع".

إن هذا التعريف الذي هو أقرب إلى الوصف، نَقَل الثقافة إلى مستوى الوقائع الاجتماعية التي يمكن ملاحظتها مباشرة في فترة زمنية محددة، كما يمكننا تتبع تطورها وهذا ما فعله تايلور نفسه.[2]

وبانتقال مفهوم culture إلى kulture الألماني اكتسبت الكلمة مضمونا جماعيا، فقد أصبحت تدل على التقدم الفكري الذي يحصل عليه الفرد أو

---

[1] نصر محمد عارف، المرجع السابق، ص21.

[2] عماد عيد الغني، المرجع السابق، ص31.

المجموعات الإنسانية بصفة عامة، وذلك اتساقا مع التصور الألماني لتاريخ البشرية الذي يَعتبرُ درجات التقدم الفكري معيارا أساسيا للتمييز بين مراحله، ففي القرن التاسع عشر والعشرين عالج المفكرون الألمان - انطلاقا من دراسة تاريخ الـ culture -، طبيعة الحياة الروحية والعلاقة بين علوم الـ culture والعلوم الطبيعية.[1]

ومن ناحية أخرى انطلق المفكرون الانجليز في المسائل السياسية والدينية لينظروا إلى culture من زاوية تطبيقاتها العملية، فقد عرّف "ميتيو أرنولد": "بأنها عملية تَرَقٍّي نحو الكمال الإنساني تتم بتمثل أفضل الأفكار التي عرفها العالم وبتطوير الخصائص الإنسانية المميزة". ويرى أن الـ culture الدينية - لكونها تُعلم الاستقامة والانضباط - تساهم إلى جانب الـ culture العلمانية - التي تبلور الحقائق الموضوعية - في ترقية الحياة الإنسانية".[2]

ولعل أبسط التعريفات وأحدثها تعريف "روبرت بيرستد" الذي ظهر أوائل الستينات والذي يعتبر:" أن الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يتألف من كل ما نفكر فيه أو نقوم بعمله أو نمتلكه كأعضاء في مجتمع".

إلا أن تعريف" غي رشيه" أكثر شمولا وعمقا، وهو استفاد قبل وضعه من كل التعاريف الأخرى وقدمه على الشكل التالي:" الثقافة هي مجموعة من العناصر لها علاقة بطرق التفكير والشعور والفعل، وهي طرق صيغت تقريبا في قواعد واضحة التي اكتسبها وتعلمها وشارك فيه جمع من الأشخاص - تستخدم بصورة موضوعية ورمزية في آن معا- من أجل تكوين هؤلاء الأشخاص في جماعة خاصة مميزة". ومن الواضح أن هذا التعريف استعان

---

[1] نصر محمد عارف، المرجع السابق، ص20.

[2] نصر محمد عارف،المرجع نفسه،ص21.

بصيغة دوركهايم الموفقة جدا " طرق التفكير والشعور والعمل"، وهي صيغة أكثر شمولا من تعداد تايلور. ومن جهة أخرى فإنها أكثر وضوحا من صيغة " طريقة في الحياة" والشائعة في كثير من التعريفات، والأهم من ذلك أن هذا التعريف سيتيح لنا أن نلقي الضوء على الخصائص الأساسية التي يتفق علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع على الاعتراف بها للثقافة.

ولابد من الإشارة إلى بعض التعريفات ذات الطابع الشمولي والتي لا تركز على جانب واحد فقط من جوانب الثقافة، فالتعريف الماركسي للثقافة من هذا النوع، فهو يعتبرها شاملة " كل القيم المادية والروحية ووسائل خلقها واستخدامها ونقلها، التي يخلقها المجتمع من خلال سير التاريخ". ويمتاز هذا التعريف بأنه يحدد بوضوح أهم مكونات الثقافة، فهو يرى أن الثقافة ظاهرة تاريخية، كما أنه يربط بين الثقافة والمجتمع الذي تنشأ فيه، ويعطي تفسيرا لنشأة الثقافة وتغيرها على الرغم من أنه يُغلِّب التفسير المادي والبعد الطبقي للثقافة...

وفي الأخير يمكن القول أن هذا التعدد والتنوع في تعريف الثقافة إنما يعكس في حقيقته تعدد الخلفيات والأطر الاجتماعية والمعرفية التي ينطلق منها هؤلاء الباحثون في تحديدهم وتعريفهم للثقافة، وبالتالي فإن أغلب التعريفات بقيت أسيرة المنظومة الفكرية للباحث وعكست طبيعة انتماءه واهتماماته.[1]

وهذا يجعل من محاولة حصر مجمل التعريفات لهذا المفهوم أمرا خارج نطاق مثل هذا البحث، إذ يكفي الإلمام بالمدلولات الأساسية للمفهوم التي تعطيه ماهيته وتحدد جوهره ومحتوياته ، ذلك أن المفهوم قد تشعب في مختلف العلوم الاجتماعية وأصبح مكونا أساسيا فيها، وامتد إلى خارج

---

[1] عبد الغني عماد، المرجع السابق، ص31،32.

المجتمع الأوربي مع امتداد هذه العلوم وانتشارها في مختلف المجتمعات،[1] وصولا إلى المجتمعات العربية والإسلامية.

ثانيا: مفهوم الثقافة عند العرب:

لعل علماءنا العرب والمسلمين سبقوا في دراسة ارتباط الثقافة بالمجتمع منذ عصور مضت ، يقف في مقدمة ركبهم مؤسس علم الاجتماع العلامة "ابن خلدون" مروراً بعدد كبير من علماء الاجتماع ولعل أبرزهم في السنوات الأخيرة المفكر الجزائري مالك بن نبي وعالم الاجتماع علي الوردي وغيرهم .

إن كلمة الثقافة بمعنى الخدمة والدراية والتهذيب قديمة في اللغة العربية، نجدها في كل معجم من معجمات اللغة السلفية والمعاصرة، مع الشواهد التي تدل عليها من الأحاديث والأمثال والأدبيات الشعرية. ومن معانيها الغالبة " التسوية والتقويم" ولهذا تسمى الأداة التي تُقوّم الرماح الثقاف. وقد وردت في كلام ابن خلدون بمعنى قريب من معناه الشائع في العصر الحاضر، فليست هي من ابتداع الكتاب المعاصرين، وإنما احتاج الكتاب المعاصرون إلى التمييز بين مدلول كلمة الحضارة civilisation وكلمة culture فخصصوا الكلمة الثانية بمعنى الثقافة، وأرادوا أن يفرقوا بذلك بين المظاهر المادية التي تقترن بالحواضر الكبرى وعمران الثروة وبين التربية الخلقية والفكرية التي تتمثل فيما تملكه الأمم من ثمرات التهذيب والتثقيف ومن محصول ثروتها النفسية.[2]

أما الكلمة في اللغة العربية فهي لا تحيل إلى الفكر أو الروح، إن لفظ "ثقافة" الذي هو ترجمة لكلمة "culture" الفرنسية والتي تدل على "فلاحة

---

[1] نصر محمد عارف، المرجع السابق، ص23.

[2] عبد العزيز شرف: وسائل الإعلام ومشكلة الثقافة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999 ص16.

الأرض"، إنما هو لفظ لا نكاد نعثر له على أثر في الخطاب العربي القديم، وهو اسم مفعول من " ثقف" بمعنى حذق. جاء في لسان العرب: ثقف الشئ ثقفا وثقافا وثُقُوفة: حذقه. ورجل ثَقفٌ وثِقِفٌ: حاذق فهم. ولم يرد فيه لفظ مثقف. أما لفظ الثقافة فقد ورد كمصدر، بمعناه: الحذق:" وثقف الرجل ثقافة: أي صار حاذقا خفيفا".ولقد استعمل ـ ولكن بندرة ـ في هذا المعنى، معنى الحذق في صنعه من الصنائع المادية أو الفكرية.[1]

إن ارتباط الثقافة بالمجتمع ارتباط متلازم ، إذ لا يمكن أن نفهم مجتمعاً إلا بفهم ثقافته ، كما لا يمكن أن نفهم ثقافة أي مجتمع إلا بفهم المجتمع ذاته ، سواء كان ذلك في جوانبه الثابتة كالأديان والقيم الأخلاقية ، أم في جوانبه المتطورة والمتغيرة كالإبداع والفن والأدب والإنتاج العلمي وغيرها من الأفعال الثقافية المتطورة والتي هي أسرع تغيّراً ومواكبةً للمرحلة التاريخية التي يمر بها المجتمع.[2]

ثالثا:الثقافة في فكر عبد الرحمان عزي:

تطرق العديد من الأساتذة والباحثين إلى عنصر مفهوم الثقافة عند المفكر الجزائري عبد الرحمان، وهذه محاولة لإبراز جذور مفهوم الثقافة عنده، وذلك لا يتضح في نظري إلا بإجراء المقارنة مع الطرح أو الأصل الغربي لمفهوم الثقافة – التي تم توضيحها سابقا - وفي مايلي سوف نبين تعريف المفكر الجزائري الذي يرى بأن:

---

[1] عبد الغني عماد، المرجع السابق، ص30.

[2] سعيد عبد الله حارب، المرجع السابق.

" الثقافة سلم يمثل مستواها الأعلى القيم، والقيمة ما يرتفع بالفرد إلى المنزلة المعنوية، ويكون مصدر القيم في الأساس الدين".[1]

فالثقافة تسمو وتدنو بعلاقتها بالقيم، والقيم مصدرها الدين، فالثقافة مصدرها الدين، وذلك مصداقا لقوله تعالى في سورة البقرة:﴿ وَعلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾(الآية ٣٣)، فقد شرح العلامة ابن كثير هذه الآية: بأن المولى عزوجل علم آدم في قوله أسماء ولده إنسانا إنسانا والدواب، فقيل هذا حمار، وهذا الفرس، وفي قول هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس ودواب وأسماء، وأرض وبحر وخيل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها، وفي قول هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس إنسان ودواب وسماء وأرض وبحر وخيل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها، وفي قول علم آدم كل دابة وطائر خير **وكل شيء**[2].

وجاء في تفسير "التحرير والتنوير" لابن عاشور، الظاهر أن الأسماء التي علمها آدم هي ألفاظ تدل على ذوات الأشياء التي يحتاج نوع الإنسان إلى التعبير عنها لحاجته إلى ندائها،أو استحضارها، أو إفادة حضور بعضها مع بعض، وهي أي الإفادة هي ما نسميه اليوم بالأخبار أو التوصيف فيظهر أن المراد بالأسماء ابتداء أسماء الذوات من الموجودات مثل الأعلام الشخصية وأسماء الأجناس من الحيوان والنبات والحجر والكواكب مما يقع عليه نظر الإنسان ابتداء مثل اسم جنة وملك وآدم وحواء وإبليس وشجرة وثمرة، ونجد

---

[1] عبد الرحمان عزي: دراسات في نظرية الاتصال: نحو فكر إعلامي متميز، سلسلة دراسات الحدة العربية(28)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ديسمبر 2003، ص106.

[2] الرجوع إلى: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، الجزء الأول، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية 1980، ص126-130.

ذلك بحسب اللغة البشرية الأولى ولذلك نرجح أن لا يكون فيما عُلمه آدم ابتداء شئ من أسماء المعاني والأحداث التي طرأت بعد ذلك ، فكان إذا أراد أن يخبر عن حصول حدَث أو أمر معنوي لذات قَرَن بين اسم الذات واسم الحدث نحو ماءٌ بَرْدٌ أي ماء بارد ثم طرأ وضع الأفعال والأوصاف بعد ذلك الماءُ باردٌ أو بَرَدَ الماء. وهذا يرجع أن أصل الاشتقاق هو المصادر لا الأفعال وقد دلنا على ذلك قوله تعالى﴿ ثم عرضهم﴾ كما سيأتي...[1]

فالثقافة هي مجموعة المعلومات التي يقوم عليها نظام حياة أي شعب من الشعوب، فهي على هذا أسلوب حياته ومحيطه الفكري ونظرته إلى الحياة، ولا بد أن تكون خاصة به، نابعة من ظروفه واحتياجاته وبيئته الجغرافية وتطور بلاده التاريخي الحضاري، فهي إذا محلية.[2]

فالثقافة التي كانت سائدة في عهد سيدنا آدم عليه السلام – كثقافة محلية- كان مستواها ومصدرها الأول هو القيم التي مصدرها الدين ، لكن هذه الثقافة أخذت تبتعد عن القيمة بزيادة عدد المجتمعات وتفرقهم عن بعضهم البعض، وباعتبار أن الثقافة الاتصالية التي كانت سائدة حين ذاك هي ثقافة المشافهة، فحصل أن حدث تحريف عند انتقال المعايير الثقافة من جيل لآخر، أي لم تعد تُستمد من القيم التي أصلها الدين ، ولم يصبح الإنسان الأداة التي تتجسد فيها القيمة بل أصبح هو مصدر هاته القيمة، ومن هنا ظهرت النظرة التي ترى أن الثقافة ظاهرة اجتماعية تُنتَج من خلال العلاقات الاجتماعية.

---

[1] تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الجزء الأول، الدر التونسية للنشر- المؤسسة الوطنية للكتاب، تونس، 1984, ص406.

[2] حسين مؤنس، الحضارة: دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها،سلسلة كتب عالم المعرفة،يناير 1978،ص322.

ومصداقا لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَرْسَلْنَاكَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَةٍ إِلاَّ خَلَى فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ (سورة فاطر، الآية 24)، فالأمم السابقة كلما ابتعدت عن الدين كمصدر للقيم الثقافية حلّ بها العذاب، فالأنبياء والرسل أرسلوا منذرين من عواقب الابتعاد عن القيم الدينية كمعيار في ممارساتهم الاجتماعية (التطفيف، اللواط،السحر...) وكان لهم الفضل – الرسل- في إحياء القيم الدينية التي حُيّدت من طرف تلك الأقوام والعمل على إرجاعها إلى أصلها-الدين-، واستمر الحال إلى أن جاء خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ابن عبد الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالدين الخاتم الصالح لكل زمان ومكان إلى البشرية جمعاء ليُتم صالح الأعمال التي دعا إليها كل الأنبياء والرُسل من قبله ويجمعها في سراج واحد، يكون بمثابة المصدر الأصلي والوحيد الذي تعتمد عليه البشرية جمعاء في إصدار أحكامها القيمية الأخلاقية ومصدرا لمرجعياتها الثقافية، وذلك مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم" إنما بعث لأتمم مكارم الأخلاق".

رابعا:تعريف عزي عبد الرحمان للثقافة v التعريفات الغربية :

يؤاخذ على التعريفات ذات النزعة الأنثروبولوجية تبني ظاهرة النسبية، أي أنها لا تعتمد على معايير يمكن من خلالها دراسة طبيعة ثقافة ما كمستوى نضجها وقيمة ما تطرقه من عقائد وسلوكيات وكذلك مقارنة ثقافة بثقافة أخرى، أما الثقافة في فكر عبد الرحمان عزي فإنها واحدة لوحدة المصدر (الدين)، فهي ثابتة في كل وزمان ومكان.

أما التعريفات التي ترى بأن الثقافة ناتج إنساني ليس إلا، فإن عبد الرحمان عزي يرد عليها بالقول بأن الثقافة في أصلها ظاهرة دينية ثم

أخذت بعدا اجتماعيا بالممارسة إما في العلاقة مع القيمة الدينية الأصلية اقترابا منها أو ابتعادا عنها.[1]

يرى الغرب أن المجتمعات تسير في نسق تطوري في نمط متصاعد انطلاقا من الحالة البدائية الأولى- التي يوجد عليها الإنسان في مرحلة ما بعد انفصاله عن الحيوان- إلى المرحلة الراقية التي وصل إليها المجتمع الأوربي.[2] ، هذه الرؤية تؤدي إلى القول بأن الإنسان هو أصل الثقافة ، في حين يرى عزي عبد الرحمان أن الإنسان أداة تتجسد فيها هذه الثقافة.

إن معظم التعريفات التي يعرضها الغرب هي تعريفات علمانية ، أما التعريفات العربية (مالك بن نبي، عزي عبد الرحمان...) فهي تعريفات دينية- معيارية-، إلا أن تعريف" ألبير ميتو" قد يتوافق مع التعريفات العربية-المعيارية- حيث يرى: " بأن الثقافة عملية ترقي نحو الكمال الإنساني تتم بتمثل أفضل الأفكار التي عرفها العالم وبتطور الخصائص الإنسانية المميزة، ويرى أن الـ culture الدينية- لكونها تعلم الاستقامة والانضباط- تساهم إلى جانب الـ culture العلمانية - التي تبلور الحقائق الموضوعية- في ترقية الحياة الإنسانية.[3]

كما يوجد من المفكرين الانجليز المعاصرين الذين نظروا في القيمة العملية للثقافة، فذهب "ماثيو أرنولد" في كتابه المسمى "الثقافة والفوضى"(1869) إلى القول:" أن الثقافة هي محاولتنا للوصول إلى الكمال الشامل عن طريق العلم بأحسن ما في الفكر الإنساني مما يؤدي إلى رقي

---

[1] عبد الرحمان عزي، المرجع السابق، ص103.

[2] نصر محمد عارف، المرجع السابق، ص20.

[3] نصر محمد عارف،المرجع نفسه، ص20.

البشرية". وقال إن الدين من العناصر الأساسية التي استعان بها الإنسان في محاولته للوصول إلى الكمال. وقد ثار جدل طويل حول العلاقة بين الثقافة والدين، وذهب " ت- س إليوت" إلى أن الثقافة تجسيد لدين الشعب.[1]

يرجع اعتماد الغرب قي تعريفهم للثقافة على تحييد الدين، إلا أن الإنسان الغربي باعتماده النظرية النسيبة والتشكيك الدنيوي الحاد في الثبات والرفض المطلق ظاهرا أو خفيا لوجود إله متحكم في هذا الكون يسيره وفق إرادته،كل ذلك جعل الإنسان الغربي يشعر دائما إلى الحاجة إلى قاعدة يبدأ منها التفكير حول ذاته، سواء كان هذا الإنسان " تاكيتش" أم " هيڤل" أم الأنثروبولوجيون جميعهم، فإنهم دائما يبحثون عن نقطة ثبات مرجعية تقف عندها تطلعاتهم وتنطلق منها مقولاتهم.[2]

---

[1] حسين مؤنس، المرجع نفسه، ص325.

[2] المرجع نفسه، ص23.